المسلمون السوفيات

السنة الثانية ٨٨/٣

* كلمة التحرير:

- تعاون بين السوفيت والاسلام الرسمي في افغانستان ٣

* مشاكل التحرك السكاني:

- حساسية المشكلة العرقية - السكانية في اسيا الوسطى ٤
- رؤية من زاوية التحرك السكاني للمؤمنين السوفيت ٦

* الاتحاد السوفيتي والعالم الاسلامي

- ثورة اكتوبر والاقطار العربية «الاشتراكية»: ٧

* استعراض لكتاب:

- الاصولية الاسلامية - رؤية سوفيتية «مصر - تونس» ٩

* اصدارات:

- الاصدارات السوفيتية عن الاسلام والشئون الاسلامية ١٠

من نشر المؤسسة الإسلامية، ٢٢٣ شارع لندن، ليستر، بريطانيا. تلفون: ٧٠٠٧٢٥ (٠٥٣٣)

مختصر اوضاع المسلمين السوفيت

انه لمن الضروري ان تلم المعاهد الاسلامية والمؤسسات في العالم الاسلامي بأوضاع المسلمين في الاتحاد السوفيتي وسياسات الاتحاد السوفيتي الخارجية التي تعني بالمسلمين خارج الاتحاد السوفيتي. وبما ان منطقة آسيا الوسطى، ظلت حفيظة على الحضارة الاسلامية عدة قرون، فانها جديرة بأن تحظى باهتمام المسلم. ومجلة **مختصر اوضاع المسلمين السوفيت**، مجلة شهرية تصدرها المؤسسة الاسلامية، وهي محاولة فريدة لدراسة جادة لشؤون المسلمين السوفيت، لم تقدم عليها منظمة اسلامية من قبل.

وهذه المجلة تشكل اضافة هامة للرجل العادي وكذلك الاكاديمي وللعلماء والباحثين والطلاب الذين يعنون بأوضاع المسلمين في الاتحاد السوفيتي والوضع العام للدين في مناطق الحزام الشيوعي.

ومصادر اخبار هذه المجلة الاساسية هي، الدوريات، المجلات، الجرائد والكتب المطبوعة في الاتحاد السوفيتي. وعليه فهذه المجلة تعرض وجهة نظر الاتحاد السوفيتي الرسمية وتعامله مع الاسلام والمسلمين، مأخوذة من المصادر الاساسية.

ويرحب المحرر بالآراء والتعليقات والمقترحات المتعلقة بالمادة والاخراج في سبيل ترقية النوعية والاداء.

الاشتراك السنوي:
٤ جنيهات استرلينية للافراد «بالبريد الجوي»
٨ جنيها استرلينيا للمؤسسات والمكتبات «بالبريد الجوي»

الاضواء
المؤسسة الاسلامية
ليستر - بريطانيا
هاتف: ٧٠٠٧٢٥ (٠٥٣٣)

THE ISLAMIC FOUNDATION
223 London Road, Leicester. LE2 1ZE,UK.
Telephone: (0533) 700725 Telex: 341539 ISLAMF G

كلمة التحرير:

- تعاون بين السوفيت والاسلام الرسمي في افغانستان:

يسعى الروس لاقامة علاقات حميمة مع العلماء الافغان، ويتواصل هذا السعي سواء انسحب السوفيت من افغانستان ام لم ينسحبوا. وحينما تدخل السوفيت في افغانستان، لم يكن العامل الاسلامي كقضية هامة معتبرة من قبل السوفيت كما هو الحال اليوم، وكان تقييم قوى الماركسية حينما ان الاسلام غير مؤهل لقيادة حركة مقاومة ضد الحكومة الماركسية وان اي مقاومة دينية لن يكتب لها حظاً من النجاح. ولكن سرعان ماثبت خطأ هذه الحسابات، التي اهملت امر الدور الاسلامي.

اما امريكا التي لم يكن في وسعها ان تنحاز لمعسكر حكومة كابول، فلم يكن امامها خيار سوى دعم المجاهدين، حيث حاولت تصويرهم كحركة مقاومة وطنية، اما الاتحاد السوفيتي فيطلق عليها لقب «دشمات» النشاطات الارهابية والامريكيون يطلقون عليهم «المقاتلون في سبيل الحرية» بينما طفت تسمية المجاهدين عليهم عبر العالم الاسلامي، وتحمل هذه التسمية دلالات الاصولية الاسلامية والجهاد، وبهذا الاعتبار، فان الجهاد ليس فقط مجرد حرب لتحرير الوطن ولكنه خيار ديني للمقاتل وقد حاولت قوى العلمانية في العالم الاسلامي وغيره اعطاء شكل علماني لحركة الجهاد الافغاني، لانهم يخشون الانبعاث الاسلامي. وبرغم ذلك، فقد ازدادت شخصية حركة الجهاد من قوة الى قوة.

وابتداء من الثمانينات، اخذ السوفيت يرسلون رسلاً دينيين الى افغانستان، لكي يتعاونوا مع علماء كابول الحكوميين في محاولة لاماتة جذوره الجهاد، وعلى امتداد السنوات، اخذ عدد الرسل الروس الدينيين يزدادون من قبل لجان الاتحاد السوفيتي الاسلامية الاربع. وكان جل هم هؤلاء المبعوثين اقناع القيادات الدينية الافغانية انه في ظروف الاحتلال السوفيتي وتحت ادارة حكومة كابول الاشتراكية المستقبلية، فلن يتم التدخل في شئونهم الدينية ولكن عجز العلماء السوفييت عن تقديم شرح كاف مقنع عن حقيقة الاوضاع والحريات الاسلامية في الاتحاد السوفيتي.

واصبح العلماء السوفيت في مشكلة، انهم قالوا بأن هناك حريات دينية كاملة في الاتحاد السوفيتي، فلن يستطيعوا ان يبرهنوا عليها كما انهم لن يستطيعوا ان يصرحوا بأن مسلمي روسيا يتمتعون بحرية دينية محدودة.

وتوجد كذلك منطقة اخرى للتعاون بين الاسلام الرسمي في الاتحاد السوفيتي ونظيره الافغاني وذلك في امر تقييم تأثير العناصر الدينية على مختلف المستويات رسمياً وشعبياً، وقد ظلت اجهزة الاستخبارات الروسية والافغانية، تعتمد على تقديرات وتقييم العلماء الافغانيين الرسميين في هذه المجالات. وفي منتصف الثمانينات ازداد هذا الاعتماد بصورة مضطرده، نسبة لطغيان عنصر الاسلام على كل الشئون الافغانية. كما اخذت حكومة كابول رسمياً، في اخفاء شخصية النظام الالحادية او الاشتراكية، وعبرت عن رغبتها لمنح كل الجماعات حرية ممارسة النشاطات السياسية كما بدا النظر لما يسمى بالمصالحة باعتبارها محاولة لاحتواء كل الاحزاب الاسلامية، بما في ذلك جماعات العلماء

والمجاهدين ولكن طالما كان هنالك ١٢٠ الف عسكري سوفيتي في افغانستان، فليس هناك احتمالات مصالحة مع الافغان. ولكن ماذا عن المائتي الف عالم افغاني؟ علماً بان السوفيت يتعاونون فقط مع بضع مئات من العلماء الرسميين ـ في محاولة لاجهاض جهود حركة العلماء الجهادية والدينية.

ومهما كانت درجة نجاح العلماء الرسميين الافغانيين والروس الا انهم ادوا دوراً هاماً للنظام الروسي والافغاني. وقد جاء الاعتراف ممن هم على اعلى درجة في المسئولية في السلطة السوفيتية ففي ابريل ١٩٨٧ قام رئيس المجلس السوفيتي الاعلى ا. جروميكو بالنيابة عن مجلس السوفيات الاعلى، بمنح شمس الدين باباخان وسام صداقة الشعوب.

وش. باباخان هو ابن المجدد الاسلامي المفتي ضياء الدين بابا خان رئيس المجلس الديني الاسلامي لمنطقة اسيا الوسطى وكازختان. وهذا المجلس يمثل خمس جمهوريات اسلامية من اصل الجمهوريات الاسلامية الست. واكثر من ذلك، فان الاوزبك والتجيك اكثر قدرة على التعامل مع الافغانيين وتبلغ عددهم حوالي ٢,٥ مليون بالنسبة للاوزبك و١,٥ للتجيك وتماثل الداري اللغة الرسمية للافغان لغة التجيك. ولهذا السبب ـ تشابه العادات واللغات ـ فقد منح المجلس الاسلامي لجمهوريات اسيا الوسطى مسئولية خاصة تجاه الشئون الدينية في افغانستان. ومع ان ش. باباخان قد تم تكريمه الا انه كذلك قد تم اعتقال عدد من العلماء لانهم تجاوزا الحدود الدينية المسموح بتجاوزها وهكذا يعامل العلماء في ظروف مايسمى بالانفتاح. وهنا يبرز سؤال في ظل هذه الاوضاع، كيف يمكن اقناع العلماء الافغان، بأن التعاون مع النظام الماركسي او اي حكومة افغانية مدعومة بالسوفيت سوف يحمي حقوقهم الدينية؟ وبالطبع فان السوفيت ليس لهم اجابة على ذلك.

مشكلة في التحرك السكاني:

ـ حساسية المشكلة العرقية ـ السكانية في آسيا الوسطى:

حسب افادة تقرير في برافدا فوستوكا «٢٢ يوليو ١٩٨٧» فان الاسلام وبنشاطات العلماء غير الرسميين يزدهران في قرى اسيا الوسطى النائية. هذه بالاضافة الى النمو الحادث وسط السكان المسلمين، خلقا مشكلة ازمة للسلطات السوفيتية والتي حاولت دفع القرى في اتجاه التمدن «بجعل القرى مدن» وذلك لامتصاص مشكلة العطالة وكبح تأثير الاسلام، حسب الاعتقاد السائد، بأن اهل المدن اقل تديناً.

وقد عبر ف. ا. كوزلوف ـ الخبير السوفيتي المتخصص في شئون اسيا الوسطى في مناقشته لقضايا المشكلة العرقية ـ السكانية في نشرة استوريا «رقم ١، ١٩٨٨» بأن الثبات الحادث في العائلة التقليدية الكبيرة مرتبط تماماً بالبطء الحادث في حركة نمو المدن في مناطق آسيا الوسطى. وحسب تقديراته، فان سكان القرى في غير مناطق آسيا الوسطى قد تناقصوا مابين عام ١٩٣٦ ـ ١٩٨٦ بحوالي ٤٤,٤ مليون نسمة ولكن في مناطق آسيا الوسطى فقد ازدادوا في ذات الفترة بحوالي عشرة ملايين. وركز على حقيقة انه في المناطق التي ازداد فيها سكان المدن، جاء ذلك نتيجة لان المستوطنات الريفية الكبيرة، تم اعادة

تنظيمها كمستوطنات حضرية وان ظل السكان منخرطين في نشاطاطهم الريفية وبين العوامل الاخرى التي تسهم في نمو السكان الريفيين في اسيا الوسطى، اشار مستركوزلوف ان ظروف القرى الحاضرة نسبياً تجلب راحة اكثر وان الكسب الداخل على الفرد من قطع الارض المخصصة للافراد والمجاورة للمزارع الجماعية نسبياً عالي. ومضى معدداً الظروف الواتية الاخرى للقرويين مثل انه من الصعب الحصول على منزل في المدن لايواء عائلة كبيرة، بينما يساعد سكان القرى بعضهم بعضاً في بناء منازل كبيرة تتسعهم واطفالهم وكذلك فان تكلفة المعيشة وتربية الاطفال اقل منها بكثير في القرى من المدن، كما ان الاطفال يساعدون في تسيير حركة الحياة في القرى ـ الرعي والزراعة وغيرها ـ وعليه فان المهاجرين الى المدن يفتقدون منافع كثيرة مرتبطة بالحياة الريفية ولايمكنهم التعهد بالتزامات العائلة الكبيرة. ولذا فان القرويين ينظرون اليهم بنظرة متعالية وربما قد تأتي الظروف التي قد تجعل حتى اطفالهم اقل اكتراثاً بهم على الاخص حينما يمتد بهم العمر.

ومضى كوزلوف معلقاً على قضية الهجرة للمدن، في اطار جمهوريات اسيا الوسطى، معدداً الصعوبات والتي منها:

مصاعب التكيف مع بيئات المدن ومناشطها، معرفة اللغة الروسية وتعلمها، التعرف على لغة التخاطب السائدة بين مختلف العناصر العرقية التي سكنت المدن، ويعتقد كوزلوف ان معظم الذين يتركون المدارس ـ القروية من الاطفال، تكون معرفتهم في غاية الضعف باللغة الروسية وكذلك على مستوى تعليمي ضعيف.

وكذلك فان عمل نساء الاهالي الوطنيين في المدن غير مجدي، لان للواحدة في المتوسط مابين ٤ ـ ٥ اطفال ـ والنسبة العالية على العاملات في صناعة المنسوجات والمهن الاخرى الملائمة للطبيعة النسوية، جلهن من الروسيات.

ولاحظ كوزلوف كذلك، مع ان شخصيات اهل اسيا الوسطى قد تتمايز، الا انه يمكن القول بأن اهل اسيا الوسطى اصحاب شخصيات قومية محلية وليس عالمية، مما يؤدي موضوعياً الى تقليل الرغبة في تعلم اللغة الروسية كما يجعل فرص الرغبة في الهجرة شبه منعدمة. بل ان الاستعداد الموجود هو رغبة الذين هاجروا للعودة لجمهورياتهم مرة اخرى.

وهكذا دحض كوزلوف راي بعض علماء التحرك السكاني الذين يقولون بأن القوميات السوفيتية تعيش كعائلة اخوية واحدة وليس هنالك مشاكل تفاعل سكاني في الاتحاد السوفيتي.

ومن الواضح انه يتبنى وجهة النظر القائلة بأن النمو السكاني السريع ليس في مصلحة الوطن الام او حتى الجمهوريات المعنية وفي سبيل حل المشاكل الاقتصادية والعرقية ـ السكانية، يقترح خفض نسبة المواليد في اسيا الوسطى، علما بأن السكان قابلون لذلك كما يدعي، كما اقترح تبني الاخلاق الشيوعية التي تقول بأنه في سبيل تنمية مستوى المعيشة ولتطوير مقدرات الناس بانسجام ومن دون اكراه، يجدر الانتباه الى ان اهمية الناس لاتكمن في الكم ولكن كذلك في النوع، واقترح كوزلوف اقتراحين لتقليل حجم المشكلة الاقتصادية والسكانية، اولاهما تقضي بتهجير الاهالي القرويين الى مدن واقعة في اسيا الوسطى والى ماورائها كذلك علماً بأن اهالي اسيا الوسطى ينفرون من الهجرة، كما اقترح زيادة فرص العمل في البيئة ذاتها. وبما ان فرص الزيادة في الاراضي الزراعية غير واردة لقلة

الموارد المائية نتيجة للاستخدام غير المرشد لهذه الموارد. كما انه لايؤيد زيادة الرقعة المزروعة لان بحر الاورال ـ المصدر المائي، الاساس في اسيا الوسطى، اصابته كارثة الى درجة انه جف الى نصف مستواه السابق. وعليه فقد اقترح اقامة صناعات صغيرة ووسيطة معتمدة على المواد المحلية.

وربما ادى التخطيط السليم وتطويره مستويات لحل كثير من المشاكل الاقتصادية والسكانية، كما قال مستر ماكاهموف، الامين الاول لطاقستان ـ مشتكياً ان كثير من الخبراء يهجرون المنطقة نسبة لسوء الاحوال السكنية ومشاكل الحياة اليومية الاخرى.

ـ المسالة السكانية والوضعية الايمانية:

قام بعض علماء التحرك السكاني، بتقييم للوضعية الدينية للمؤمنين السوفيت، وقد اظهرت الدراسة تبايناً نسبياً في امر التزام اتباع مختلف الديانات لعقائدهم في مختلف انحاء البلاد، ففي جمهورية لاتقيا، يقوم ٢٩٪ من المؤمنين باداء صلواتهم يومياً ٣٢٪ في يوم الاحد فقط، و٣٩٪ في المناسبات والاعياد. وفي المنطقة الوسطى لجمهورية روسيا يقوم ٤٠١٪ بأداء الصلاة بانتظام و ١و٤٨ لايؤدونها بانتظام و١١,٨٪ لايصلون مطلقاً، علماً بأنهم يعتبرون انفسهم مؤمنين:

ويصلى ٢٢,١٪ من اجل الخلاص الشخصي والبقية من اجل السلام، ومتوسط المدة التي يقضونها في الصلاة تتراوح مابين دقيقتين الى ثلاث دقائق في اليوم ومعظم المؤمنين يعرفون تأدية الصلاة.

ويتشابه الموقف مع الاسلام، كما تدعي الصحيفة، ففي كاراكالباك، يقوم اكثر من ربع المؤمنين باداء الخمس صلوات يومياً، ١٢٪ يصلون مرة او مرتين يومياً ـ اما طاقستان، فالصلاة يؤديها كبار السن في الغالب الاعم. ويتباين كذلك عدد الذين يؤدون شعيرة الصيام بين اتباع الديانات المختلفة، ففي لاتقيا يقوم بادائها ١١,١٪ من المؤمنين الارثذوكس، وكذلك ١٦,٩٪ من اتباع المعتقد القديم و٢٧,٤٪ من الكاثوليك يلتزمون بشعيرة الصيام، بينما يهمل اداء الشعيرة ٦٨,٢٪ من اتباع المعتقد الاول و٥٩,٣٪ من اتباع المعتقد الثاني و ٤١,٦٪ من اتباع المعتقد الثالث والبقية قد تصوم او تفطر تبعاً للظروف.

ويقوم كبار السن بمراعات فريضة الصوم في طاقستان كما ان الحال هي في المناطق الاسلامية الاخرى. واشارت المجلة الى ان الفتاوي التي تصدرها المجالس الاسلامية الرسمية، تضعف من همة الراغبين في الصيام وينظر العديدون للصيام كوسيلة لتخفيف الوزن وتحسين الصحة ومحاربة المرض. وادعت المجلة ان ظاهرة تعميد الاطفال تتناقص في كل انحاء الاتحاد السوفيتي وذكرت بأنه في المناطق الوسطى من جمهورية روسيا، فان ٢١,٧٪ من المؤمنين يحضرون بصورة منتظمة وبصورة سرية جلسات للتعبد والاعتراف و٥٥,٦٪ يحضرونها بصورة منتظمة و٢٢,٧٪ لايحضرونها مطلقاً.

وفي منطقة لاتقيا، يلتزم مابين ٥ ـ ٧٪ من الارثذوكس واتباع «المعتقد القديم» بحضور جلسات الاعتراف ومابين ٣٥ ـ ٣٦٪ يحضرونها مرة في العام والبقية اقل من ذلك ـ ٢٨,٩٪ لم يحضروا اي جلسة اعتراف لفترة ثلاث سنوات وبينما حضر ٦,١٪ مرة واحدة جلسة اعتراف في ثلاث سنوات، ومع ان المسيحيين الارثذوكس يترددون على الكنيسة اقل من غيرهم الا انهم يحتفظون بالايقون «صور او

ضم كنسي للعبادة» وان لم يكن في صدر البيت ففي المطبخ او في الدولاب. واشارت المجلة الى ان المؤمنين يشكلون دوائر تقتصر على اعضائها، وفقط ٤٪ لهم اتصالات مع الاصدقاء او الجيران غير المؤمنين.

وحسب العدد رقم ٧، ١٩٨٧ من ذات المجلة، فان ثلث المؤمنين ـ في السبعينات من هذا القرن ـ يقضون اوقات فراغهم في اشباع احتياجاتهم الدينية وقراءة الادب الديني. وفي منطقة جبال الاورال الغربية، فان نصف المؤمنين لم يقوموا بزيارة اندية او مكتبات بينما يتردد عليها ٤٦٪ بين الحينة والاخرى و٤٪ بانتظام. وادعت المجلة ان المؤمنين في السنوات المنصرمة كانوا اكثر ميلاً ورغبة في دور السينما والمسارح وقراءة المجلات والجرائد ومراقبة التلفزيون والاستماع للراديوا ويحتفظ ١٥٪ من المؤمنين بالمطبوعات الالحادية في بيوتهم، واوضحت المجلة كذلك، بأنه برغم من ان المعالم الروحية للمؤمنين المعاصرين تدور في اطار الدين ولكنهم كذلك يهتمون بحوائج حياتهم او الاشياء التي تتعلق بتنمية شخصياتكم، وركزت المجلة على ان الكثيرين المؤمنين شبه متعلمين، ولكن ليس مرد هذا الى تدينهم لان التدين في حد ذاته نوع من التعليم النسبي. وقد ظهرت مؤخرا صبيحة في دوائر الاعتراف الديني تقول (من يعتقد انه يعلم شيئاً، من الواضح انه لايعلم شيئاً مما يفترض ان يعلمه ولكن من يحب الله يعلمه الله). وقد انتشرت وسط المتدينين خصلة العمل على توسيع معرفتهم في سبيل النجاة والخلاص الشخصي. وادعت المجلة ان الواقع الاشتراكي دفع بالمؤمنين في اتجاه المشاركة اكثر في نشاطات التنمية والانتاج الاجتماعي.

وجاءت اشارة في العدد السادس لعام ١٩٨٧ من هذه المجلة المعنية بامور الدين، بأنها متفائلة بصدد المؤمنين الذين لاتمنعهم مجالس اعترافهم من الحصول على وظائف افضل. وان الكثيرين من مؤمنين اوزبكستان يستمتعون باداء عملهم معتمدين على الله في احراز النتائج. فمثلاً حينما تجيء خطة انتاجية معينة، فانهم يقولون «ان شاء الله، فان الخطة الانتاجية ستمضي الى غاياتها».

الاتحاد السوفيتي والعالم الاسلامي:

ـ ثورة اكتوبر والاقطار العربية «الاشتراكية»:

هناك دعاوي عريضة تتخلل الادب السوفيتي، بأن ثورة اكتوبر الاشتراكية الهمت حركات التحرير في الاقطار العربية. ويقول روبرت لاندا «ان ثورة اكتوبر حركت واثارت كل العالم العربي... وهي التي ادت الى سقوط اسطورة الامبريالية التي لاتقهر» (انظر كمثال مجلة اسيا وافريقيا اليوم، مايو ـ يونيو ١٩٨٧).

هناك ابعاد عديدة لانتصار الثورة الاشتراكية واتصال ذلك بنظام الامبريالية العالمية، وفي الحقيقة، انها تعبر عن ازمة القوى التي تتحكم في مصائر العالم. ولكن كيف اسهمت الثورة الاشتراكية في تحقيق العرب لاستقلالهم السياسي؟ لقد اثرت ثورة اكتوبر الاشتراكية على مختلف شعوب المنطقة العربية ـ في المغرب وسوريا ولبنان والجزائر وتونس واليمن والعراق وليبيا ومصر وفلسطين الى اخره

وقد ظلت الثورة عاملاً مؤثراً في هذه الدول في فترة مابعد الاستعمار. ولكن انه لمن الهراء الذي لايسنده دليل، القول بأن ثورة اكتوبر الهمت العرب للقتال ضد القوى الاستعمارية ففي اثناء وبعد الحرب العالمية الاولى، تبنت القوى الامبريالية استراتيجية جديدة، للاستمرار في سيطرتهم الاستعمارية وبمقتضى اتفاقية سايكس ـ بيكو تم تقسيم سوريا وفلسطين ولبنان والعراق بين بريطانيا وفرنسا. وبالطبع فان الروس كانوا ملمين بتلك الوقائع، (بل وقيل ثورة اكتوبر ذاتها حلل ليتين المشاكل التي تهم العرب وتمثل تحدياً لهم).

وهذا هو السبب، الذي جعل القوى الامبريالية تتكالب على القضاء على آخر صرح يمثل الوحدة الاسلامية والذي يتجلى في الخلافة الاسلامية وكرسيها في استنبول. وهدفت قوى الاستعمار الغربي، لاضعاف شعيرة الوحدة الاسلامية بين المسلمين، كما استخدام السوفيت هذه المقاييس لتقوية قبضتهم على ٤,٥ مليون كلم من الاراضي الاسلامية الواقعة في قبضة روسيا القيصرية، كما كانوا يأملون في نجاح مماثل في اجتياح الاقطار التي تليها كإيران وتركيا وافغانستان. ولايقبل الاشتراكيون السوفيت بمقولة وصف روسيا القيصرية كقوة استعمارية وان ذكروا بأن الثورة الاشتراكية وجهت ضربة قاضية على نظام السيطرة الامبريالية في روسيا، وتحولت كل اراضي روسيا القيصرية الى ميراث للثورة الاشتراكية.

لم ينجح الاشتراكيون السوفيت في اجتياح اقطار الشرق الاوسط برغم ان الافكار الاشتراكية اخترقت هذه الاقطار. وقد وصف سيلمه بوثمان طبيعة العنصر الاشتراكي في مصر، في فترة قصيرة في اثناء العشرينات، برزت الشيوعية كقوة سياسية مستقلة وجديدة قادرة على تحريك النقابات والحركات العمالية.

وفي عام ١٩٢٠ تم تأسيس الحزب الاشتراكي المصري، ولكن اصبح وجوده غير قانوني في عام ١٩٢٥ وحتى عام ١٩٥٠، لم تستطع الاشتراكية السوفيتية ان تجد لها منفذا في اي من الاقطار العربية. ولكن الهجوم الثلاثي على مصر في عام ١٩٥٦ من قبل بريطانيا وفرنسا واسرائيل، بعد تأميم القنال، نقل مصر تماماً الى المعسكر السوفيتي. وحتى عام ١٩٧٠ جلبت السياسات الاشتراكية على مصر مكاسب ضئيلة وضعفت الشيوعية ضامرة في الاقطار العربية. والواقع الموجود حالياً في الاقطار العربية اشتراكياً او رأسمالياً، يرتبط بمدى صداقة القطر مع اي من القوتين وباستثناء اليمن الجنوبي، فان السوفيت لايملكون اي سيطرة شاملة في العالم العربي ولكن لايحب المنظرون السوفيت ان ينظر لهذه المسألة كهزيمة ايدلوجية للفكر الاشتراكي في العالم الاسلامي ويقول ف ـ شابشينا «نحن نؤمن بأن الوحدة لاتعني التطابق الكلي ـ التوحيد. نحن مقتنعون بأن الاشتراكية لايمكن ان يكون لها نموذجاً، يستوي امامه الكل» ولفترة طويلة، ظل السوفيت، شديدو الانتقاد «للاشتراكية الوطنية» و«الاشتراكية العربية» و«الاشتراكية الاسلامية». ولكنهم الان يحاولون التصالح مع هذا النمط من الاشتراكيات. «وبالطبع فان العالم العربي في حد ذاته مقسم ومختلف بالنسبة لاوضاعه السياسية والاقتصادية والاجتماعية... ولكن القسمة تنفش بصورة اكبر في الاقطار العربية ذات التأصيل الاشتراكي».

وبالنسبة للسوفيت، فكل انماط الاشتراكية مقبولة، اذا كانت صديقة للإتحاد السوفيتي، بل وحتى

النمط الراسمالي يمكن ان يكون مقبولاً اذا ماجاء بعائد ونتائج طيبة. وعليه فان الاشتراكية تتجه لان تصبح نظاماً مبهماً وليس اكثر من توام للراسمالية.

وقد اقام الاتحاد السوفيتي مؤخراً علاقات دبلوماسية مع سلطنة عمان والامارات العربية واصبحت قضية اقامة علاقات مماثلة مع السعودية العربية مسألة وقت حسب اشارة الهرالدتربيون ٢٦ فبراير ١٩٨٨.

وبالنسبة للمسلمين، فان النظامين اللذين يمثلهما العملاقان «روسيا وامريكا» ضد الاسلام وذاتا طبيعة غير روحية ولكن مايزال النظام الاسلامي البديل في طور التبلور والتكوين حتى يمثل التحدي والبديل المنشود من قبل شعوب العالم.

عالم الكتب:

استعراض لكتابين عن رؤية سوفيتية للاصولية الاسلامية في مصر وتونس اولهما، مصر فيما بعد ناصر ١٩٧٠ ـ ١٩٨١ تأليف اربع كنيازيف . موسكو، ١٩٨٦ ـ ٢٩٩ صفحة والثمن ٢,٥ روبل وثانيهما (الاسلام في حياة تونس الاسلامية والاجتماعية) تأليف ن.ا. فوردنجانينا، موسكو، ١٩٨٦. ١٨٩ صفحة. الثمن ١,٦ روبل.

ظاهرة الكتابة، حول الاسلامية الاصولية، ظاهرة جديدة تماماً في الادب الذي يُنتجه الكتاب السوفيت. ويدور الكتابان اللذان نعالجهما هنا، حول الحركات الاسلامية التي ظهرت في العقد الاخير في كل من مصر وتونس. ويركز كلا الكاتبين على الخلفية التاريخية للحركتين ويلامس كلاهما بعض احداث العقد الاخير. وتحتل كل من مصر وتونس اهمية خاصة عند السوفيت، لانهما اكثر الاقطار الاسلامية تقدماً وعلمانية.

وكذلك ينصب اهتمام السوفيت بمصر للنقلة الهائلة التي نقلتها من معسكر الروس الى معسكر امريكا في القرن الاخير، اما تونس، فقد لفتت نظرهم الحركة الاسلامية القوية التي يقودها راشد الغنوشي والتي جعلت نظام بورقيبة يترنح ويقترب من نهايته.

ويحاول الكاتب الاول، ان يحلل، تجربة ناصر الموالية للاشتراكية ويعود اخفاقاتها ونجاحاتها من خلال رؤية ماركسية. وحينما يتناول الكاتب القضايا المتعلقة بالاخوان المسلمين، فانه على عادة نظرائه من الكتاب السوفيت، يقول «الاخوان المسلمون حركة محافظة شهيرة وهي جزء من الحركة الاسلامية... وترجع بعض الاسس الايدلوجية والدينية للتطرف الديني للنظريات المتغيرة لاحد القادة الايدلوجيين لحركة الاخوان سيد قطب» كما يناقش الكاتب في دراسته تنظيمات «التكفير والهجرة» و«الجهاد الاسلامي» و«الجهاد الجديد» و«حزب التحرير الاسلامي» وعلى غير عادة الكتاب السوفيت، فان هذا الكاتب لايلجأ الى تجاهل تأثير الحركة الاسلامية ويعترف بأنه «تملك الحركة الاسلامية في مصر تأييد شعبي ضخم. ويكفي ان نقول ان خمسة ملايين من سكان مصر ينتمون الى تنظيمات مختلفة ذات طبيعة دينية محضة».

اما كتاب فورونجانينا عن تونس، فهو يحق اسهام اصيل في هذا المجال. ويحلل الكاتب مسار حركة

العلمنة الكلي في الفترة الاستهارية والوطنية. كما يمتدح توجهات تونس العلمانية بسماتها المميزة في الفترة الوطنية. ويكرر في مواضع عديدة، بأن تونس وحدها القطر الاسلامي الوحيد ـ تبنت نظرية فصل الدين عن الدولة دستوريا بعد الاستقلال مباشرة في عام ١٩٥٦. ويبدي الكاتب اهتماماً فائقاً بالحركة الاسلامية الاصولية التونسية، ويقول الكاتب من دون تردد «تختلف الاصولية الحديثة بصورة اساسية من احتجاجات التقليديين في الستينات» حيث التركيز في نداء الاصولية الحديثة ليس على الرجوع للماضي ولكن على مايسمو له النموذج الاسلامي او «الخيار الثالث».

وفي السابق، لم يكن الكتاب السوفيت واضحين في تبيان شمولية الاسلام كمنهج حياة ولكن هذا الكاتب، يضمن دراسة عدداً من شعارات الحركة الطلابية التونسية مثل «يسود في العالم نظامان، النظام الرأسمالي والاشتراكي ومامصلحتنا في الانتماء لاي من هذين النظامين؟ نظامنا هو الاسلام. الاسلام ثقافتنا واساس وجودنا وهو منبع تصورنا للسياسة والانسان».

وينظر الدارس للحركة الاصولية الاسلامية، كرد فعل لسيادة الثقافة الرأسمالية وللسوء الحادث في تطبيق الاشتراكية في الاقطار الاسلامية.

ويتفق الكاتبان على انه برغم تطبيق المذهب الاشتراكي في العالم العربي، الا ان القادة المسلمين اساساً ليسوا باشتراكيين حقيقة ولاماركسيين. وطالما ان ناصر نفسه لم ينجح في تطبيق الاشتراكية في مصر، فلا يوجد امل ان يقوم قطر عربي آخر بتطبيقها ويعترف فورونجانيتا بأن بورقيبة استخدم اساليب تعسفية في قمع الحركة الاسلامية، ولكن الكاتب الآخر لايبدي هذا الاستعداد ليدفع ناصر بتهمة استخدام اساليب قمعية واسعة ضد الاخوان المسلمين بل يقول ان مسلك عبد الناصر كان ناعماً ازاء الاخوان المسلمين.

وعلى اية حال، فالكتابين نموذج للدراسات السوفيتية في حقل الدراسات الاسلامية، ومع ان الدراسات السوفيتية في هذا الحقل تبدو حذرة ومتناقضة ولكن هذين الكتابين يمثلان روحاً جديدة في هذه الافاق.

اصدارات:

ـ الاصدارات السوفيتية الاخيرة عن الاسلام والشئون الاسلامية:

١ـ ب،/. زاكميذرمانوف، نقد زيف الفقهاء ودراسة حول وضع الاسلام والمسلمين في اوز.قحفص ٧٢ ـ ٧٨٩١ دنقشطب قلودلا ةعماج قيفسلفلا مولعلا يف هاروتكد ةساردل ةصلاخ .قيتيفوسلا ناتسكشد

٢ـ كخ ـ نصر الله، مفاهيم الفقهاء المسلمين الاصلية للاسلام وتطبيقاتهم العملية في ظرف معاصر في اجواء المادية السوفيتية خلاصة لدراسة دكتوراه، جامعة الدولة بطشقند ١٩٨٧ ـ ١٦ صفحة.

٣ـ ل.د. بولوشكـايا «الجوانب الايدلوجية للحركة الاسلامية السياسية في السبعينات والثمانينات» مقالة في مجلة «الدول النامية في عالم السياسة» موسكو، ١٩٨٧، وكذلك نشرت باللغة الانجليزية في مجلة «دراسات المستشرقين السوفيت» موسكو ١٩٨٧.

٤ـ ١٠١ ايناعليف (القضاء على الفوارق الدينية القومية كنتاج طبيعي للتوجه العلمي والالحادي) في مجلة «تكوين النظرة العلمية» عالم عطاء ١٩٨٧.

٥ـ ا.ف. تيكيفوروف «بعض جوانب التكوين الالحادي العقائدي لصغار الطلاب» المصدر السابق.

If undelivered please return to:
The Islamic Foundation,
223 London Road, Leicester LE2 1ZE, U.K.